الاقتراض في اللغة عربية

أ. حليمة بن عزوز وأ. وهيبة بن حدو

كثيرا ما يلجأ العديد من المصطلحين إلى الاقتراض إذا ما عجزوا عن إيجاد مصطلح للمقابل الأجنبي أوصَعُبَ عليهم توليده بطرق التوليد المشهورة كالاشتقاق. والاقتراض هوظاهرة لغوية عامّة تنتج عن تلاقح الثقافات واحتكاك الحضارات، وتفرضها عملية التواصل بين الشعوب المختلفة ألسنتهم. ويعتبر الاقتراض وسيلة من وسائل النماء الشفوي خاصّة في اللّغة العربية التي تمتاز بليونتها وقدرتها الكبيرة على استيعاب كلّ ما يرد إليها.

المبحث الأول: تعريف الاقتراض لغة واصطلاحا:

١-لغة: تفيد مادة قرض عدة معاني أشهرها الأخذ والعطاء.

قال الفيروزبادي: "والقرض بالكسر ما سلفت من إساءة أوإحسان...قرض كسمع (زال من شيء إلى شيء)... وأقرضه أعطاه قرضا...واقترض منه أخذ القرض منه."١ (القاموس المحيط، الفيروزابادي).

وقال الزمخشري : "واستقرضته فأقرضني، واقترضت منه كما تقول: استلفت منه، وعليه قرض وقروض، وقارضته مقارضة وقراضا: أعطيته المال مضاربة... وفلان يقارض الناس مقارضة يلاحيهم ويواقعهم... وهم يتقارضون الثناء والزيارة."٢ (أساس البلاغة، الزمخشري، ١٤١٩ه/١٩٩٨م).

وفي لسان العرب: " يقال: أقرضت فلانا وهوما تعطيه ليقضيكه...وقد اقرضه وقارضه مقارضة وقراضا. واستقرضت من فلان أي طلبت منه القرض فأقرضني وأقرضت منه أي أخذت منه القرض... والعرب تقول لكل من فعل إليه خيرا: قد أحسن قرضي، وقد أقرضتني قرضا حسنا".٣ (لسان العرب، ابن منظور، ١٤١٩ه /١٩٩٩م).

وبهذا يتضح إن معنى هذه الكلمة –أي اقتراض- تعني الاستعارة والسلفة وهذا ما أجمعت عليه جل المعاجم سواء العربية منها أوحتى الأجنبية.

٢-التعريف الاصطلاحي:

الاقتراض اللغوي ظاهرة لازمت اللغة منذ ظهورها حتى اليوم وتستمر إلى ما شاء الله. ولانقصد بهذا المصطلح الاقتراض بمعناه الدقيق، ذلك لأن اللغة المستعيرة لا تحرم اللغة المستعار منها تلك الألفاظ المستعارة، بل ينتفع بها كلا اللغتين، وليست اللغة المستعيرة مطالبة بردّ ما اقترضته من ألفاظ اللغات الأخرى. وغالبا ما يتغير النطق بالألفاظ المستعارة ليتناسب مع القواعد الصوتية للغة المقترضة.

ويقوم بهذا الاقتراض بعض الأفراد أحيانا وبعض الجماعات أحيانا أخرى، وفي هذا الصدد يقول إبراهيم أنيس أن:" اقتراض الألفاظ عمل يقوم به الأفراد كما يقوم به الجماعات، وفي العصور الحديثة قد تقوم به أيضا الهيئات العلمية كالمجامع اللغوية وأمثالها.على أن عمل الفرد هنا لا يظل عملا منعزلا عن الناس، بل رغم أنه يبدأ كعمل فردي لا يلبث في غالب الأحيان أن يقلده مجموعة من أفراد، ثم قد يصبح ملكا للجماعة كلها، ويكون حينئذ عنصرا من عناصر اللغة المستعيرة."٤ (من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ١٩٧٨م).

والذي يجب التنبيه إليه أن اللغة لا تقوم بهذا الاقتراض إلا عند إحساسها بالحاجة إلى مفردات للتعبير عن مستجدات الحضارة والثقافة وليس عندها المفردات التي يمكن أن تؤدي هذه المهمة، أويمكن أن يكون عن طريق إعجاب أمة بأخرى وتقليدها في مظاهرها الاجتماعية، أوالترف بمعنى أن يقترض اللفظ بدون مسوغ بالرغم من وجود كلمات مكافئة لها في اللغة المقترضة .

٣- عوامل نشوء الاقتراض اللغوي:

هناك عدة عوامل تجعل لغة ما تؤثر على لغة أخرى، بما فيها العوامل التاريخية والاجتماعية. وبناء على هذا التأثير تنتقل مختلف الكلمات من لغة إلى لغة أخرى، من هذه العوامل نذكر: الاحتكاك الحضاري، والغزوعلى اللغة، والأحداث السياسية، وعامل الجوار، والعامل الاقتصادي

والثقافي.

المبحث الثاني: الاقتراض في اللغة العربية:

يحتوي مفهوم أومصطلح الاقتراض في اللغة العربية على ثلاث مصطلحات دفعة واحدة (المعرّب والدّخيل والأعجمي أوالمولد)، فلوعدنا إلى المنشأ التاريخي لتلك المصطلحات لوجدنا أن المعرّب لفظ استعاره العرب الخلص في عصر الاحتجاج، أما الدخيل فهولفظ أخذته اللغة العربية في مرحلة متأخرة من عصر الاحتجاج، ثم نشأ بعد ذلك مصطلح المولد الأعجمي على الكلمات التي دخلت العربية بعد ذلك على أيدي المولدين. ثم رغب المحدثون في التخلص من تعدد هذه التصنيفات وتداخلها فأطلقوا مصطلح الاقتراض عليهم جميعا أي على:المعرب والمولد والدخيل.

١-المعـرّب:

التعريب لغة "من الفعل المضعف عرب، ويقال عرب الاسم الأعجمي إدا تفوه به على منهاج العرب" ٥(التعريب جهود وآفاق، قاسم سارة، ١٤٠٩ه/١٩٨٩م).

واصطلاحا عرفه السيوطي (ت:٩١١هـ) بأنه "ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها."٦ (المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي)

فالتعريب إذن هوصبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظ أجنبي إلى اللغة العربية. ومن هنا فالتعريب هوتهذيب المنطق من اللحن، والمعرب هولفظ وضعه غير العرب لمعنى ما، ثم استعمله العرب، بناء على ذلك الموضع. والعرب تستعمل ألفاظا أعجمية على طريقتهم في اللفظ والنطق، فيحافظون على الأوزان العربية والإيقاع العربي بما يطبعها بطابع عربي.

والمعرب هوما استعمله الفصحاء من كلمات دخيلة بعد صقلها باللسان العربي، وإخضاعها لمقاييسه في عصور الاحتجاج،٧ (ينظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ٢٠٠٤م) ويسمى نقل اللفظة من الأعجمية إلى العربية على هذا النظام تعريبا.

والتعريب من الظواهر البارزة في اللغة العربية، وهي قديمة وجدت منذ وجود العربية وامتزجت بغيرها من اللغات، وقد تناولها كثير من أهل اللغة قديما وحديثا بالبحث ومدارسة كيفية التعامل مع الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة.

وقضية المعرب هذه قضية قديمة جدا، حيث جاورت العرب أمما وحضارات كثيرة وذلك لأن الإنسان مدني بطبعه، لذلك حدث احتكاك بين اللغة العربية واللغات الأخرى كالفارسية والسريانية والعبرية والقبطية.

٢-الدخيل:

الدخيل لغة: "كل كلمة أدخلت في كلام العرب، وليست منه، والحرف الذي بين حرف الروي وألف التأسيس، والفرس الذي يخص بالعلف".٨ (القاموس المحيط، الفيزوزآبادي)

واصطلاحا: "الدخيل أعم من المعرب، يطلق على كل ما دخل في اللغة العربية من اللغات الأعجمية سواء أكان ذلك في عصر الاستشهاد أم بعده وسواء خضع عند التعريب للأبنية العربية أم لم يخضع٩ (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجوالقي، ١٩٩٠م).

خلاصة القول أن الدخيل كلمة تبقى على وزن صرفي غريب على اللغة العربية، ويكون بهذا مفهوم الدخيل أعم من مفهوم المعرب، إذ يشمل كل ما نقل إلى لغة العرب سواء جرت عليه أحكام التعريب أم لم تجر عليه وسواء كان في عصر الاستشهاد أوبعده.

-المولد:

المولد لغة: هو"المحدث من كل شيء ومنهم المولّدون من الشعراء إنما سموا بذلك لحدوثهم."١٠ (لسان العرب، ابن منظور، ١٤١٩ه /١٩٩٩م).

المولد اصطلاحا: هو"اللفظ الذي استعمله الناس قديما بعد الرواية."١١(مقدمة المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤).

ولاشك أن المولد لفظ عربي أصلا أوتعريبا، لأن المعرب يصبح بعد تعريبه عربيا، وان لوحظت عجمته بحسب الأصل، وهناك فرق ظاهر وواضح بين المولد اللفظي والمولد المعنوي:١٢ (أسباب غرابة الكلمة، سالم صباح، ٢٠٠٣).

فالمولد اللفظي هوأن يكون اللفظ بصيغته جديدا في الاستعمال بمعناه الجديد، مثل:

المربى: ما يعقد بالسكر أوالعسل من الفواكه.

وأما المولد المعنوي فهوأن يكون للفظ معنى قديم، ثم ولد له بصيغته القديمة معنى جديد مثل:

الجدول: أصلا، بمعنى مجرى الماء.

المبحث الثالث: الاقتراض عند العلماء العرب

اهتم علماء اللغة بظاهرة المعرب والدخيل اهتماما بالغا، فأوردها أصحاب المعاجم والكتب اللغوية في معاجمهم وكتبهم القيمة، ومن العلماء الذين اهتموا بهذه الظاهرة:

١-الخليل ابن أحمد الفراهدي:

هو"الخليل بن أحمد بن عمروبن تميم الفراهيدي البصري أبوعبد الرحمن صاحب العربية والعروض... عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيّأ ضبط اللغة"١٣ (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ١٣٨٤ه/١٩٦٥م) والذي يعد حجر الزاوية للغة العربية ومفرداتها الأصيلة والدخيلة، قام بتأليفه في منتصف القرن الثاني للهجرة.

وكانت البصرة آنذاك موطنا لثقافات وعلوم متعددة بعضها عربي وبعضها دخيل جاء عن طريق الشعوب المجاورة والوافدة عليها مثل الفرس والروم، وبدأت الترجمة حينئذ تؤتي ثمارها وتكشف عن كنوز مختلف تلك الثقافات، وقف الخليل على كل هذه المناهل العلمية، وأراد أن يأخذ منها جميعا. ولم يكتف بما أخذ عن هؤلاء بل شد الرحال إلى باطن الجزيرة العربية ليأخذ العلم من أفواه الرجال في بوادي نجد وتهامة والحجاز، وقد استوعب منها الكثير حتى قيل: أنه كان يحفظ نصف اللغة، وأول من صنف في جمع اللغة، وألف في ذلك كتاب العين المشهور.١٤(ينظر مكانة الخليل بن أحمد في النحوالعربي، جعفر تايف عباينة، ١٤٠٤ه/١٩٨٤م).

ويمكن تفصيل المعايير التي وضعها الخليل في كتابه العين للتفريق بين الأصيل من الكلمات العربية والدخيل كما يلي:

- أن يجتمع في الكلمة حرفان لم يألف العرب اجتماعهما: لا يجتمع في كلام العرب الضاد والكاف وهما متصلتان سواء أكانت الضاد متقدمة أومتأخرة، ولا يحسن اجتماعهما عند الخليل إلا بفصل لازم بحرف أوحرفين أوأكثر، قال الخليل:" ألا ترى أن الضاد والكاف إن التقتا فبدئ بالضاد فقيل: "ضك" إن التقتا فبدئ بالضاد فقيل: "ضكّ" كان تأليفا لم يحسن في أبنية الأسماء والأفعال إلاّ مفصولا بين حرفيه بحرف لازم أوأكثر من ذلك:"الضنك" و"الضحك" وأشباه ذلك"١٥(مقدمة العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٩٨٠-١٩٨٥)
- أن تكون الكلمة رباعية أوخماسية وليس فيها حرف أوأكثر من حروف الذلاقة: قال الخليل: " فإن ورد تعليق كلمة رباعية أوخماسية معراة من حروف الذلاقة أوالشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أواثنان أوفوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب لأنك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أوخماسية إلا وفيها حرف الذلق والشفوية واحد أواثنان أوأكثر"١٦(العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٩٨٠-١٩٨٥)
- أن تكون الكلمة على مثال خاص لم يبن العرب كلامهم على مثله.

ولقد ضمّن الخليل معجم العين كثيرا من الألفاظ المعربة، أخذها العلماء اللاحقون به وتناولتها كتبهم حتى يومنا هذا، وكان الخليل يبين معانيها ويستشهد بها، كما كان يفعل بالكلمات العربية، وكان غالبا ما ينهي شرحه بذكر أنها من المعرب أوالدخيل، ولكنه كثيرا ما ينسبها إلى لغة بعينها.١٧ (ينظر العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٩٨٠-١٩٨٥)

هذا هومنهج الخليل في تفريقه بين الأصيل والدخيل من الكلمات، وذلك من منطلق الأصوات أوالفونيمات ومدى التآلف بينها في بناء الكلمة، ويرجع ذلك عند الخليل إلى تذوق الحروف ثم الرجوع إلى البناء العام للكلمة العربية.

٢- سيبويه :

هو"عمروبن عثمان بن قنبر إمام البصريين سيبويه أبوالبشر ويقال أبوالحسن مولى بني الحارث بن كعب، ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي."١٨ (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ١٣٨٤ه/١٩٦٥م).

من أهم مؤلفاته الكتاب "هذا السفر العظيم الذي كتب له التاريخ الخلود وأرسله مع الأيام ذكرا وادّخره للعربية كنزا وندبه في العالمين شاهدا على براعته فيها وونفاذه إلى أسرارها. واعتمد في مادته على أمور مروية وأخرى غير مروية وعبارات عربية وأخرى أعجمية خالصة أومعربة ومسائل مفترضة قيست على نظائرها في اللغة".١٩ (سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف).

من بين القضايا اللغوية التي تعرض لها سيبويه في مصنفه تعريب الأسماء والألفاظ الأعجمية في جانبين: البنائي والصوتي للغة واضعا فيها الشروط

أوالكيفية التي تساعدنا في التمييز بين الألفاظ الأصيلة والمعربة.

ويعتبر من الأولين الذين وضعوا اصطلاح التعريب في باب "ما أعرب من الأعجمية" ويتمثل قوله: " اعلم أنهم مما يغيرون الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه."٢٠ (الكتاب، سيبويه، ١٤٠٢ه/١٩٨٣م).

من خلال هذا التعريف نجد أنه تناول جانبين أساسيين في اللغة وهوالجانب البنائي أي الأوزان الصرفية والجانب الصوتي أي إبدال الحروف.

ويشرح سيبويه هذا في قوله: " فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم ألحقوه ببناء هجرع. وبهرج ألحقوه بسلهب. ودينار ألحقوه بديماس. وديباج كذلك. وقالوا إسحاق فألحقوه بإعصار... ورستاق فألحقوه بقرطاس. لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كما يلحقون الحروف بالحروف العربية.

وربما غيروا حاله عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية، فأبدلوا مكان الحرف الذي هوللعرب عربيا غيره، وغيروا الحركة وأبدلوا مكان الزيادة، ولا يبلغون به بناء كلامهم، لأنه أعجمي الأصل، فلا تبلغ قوته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم. وإنما دعاهم إلى ذلك أن الأعجمية يغيرها دخولها العربية بإبدال حروفها، فحملهم هذا التغيير على أن أبدلوا وغيروا الحركة كما يغيرون في الإضافة إذا قالوا: هني نحوزباني وثقفي. وربما حذفوا كما يحذفون في الإضافة، ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم، وذلك نحو: آجرّ، وإبريسم، وإسماعيل، وسراويل، وفيروز، والقهرمان. "٢١ (الكتاب، سيبويه، ١٤٠٢ه/١٩٨٣م).

فعندما أرادوا تعريب الألفاظ الأعجمية ألحقوه ببناء كلامهم كما جاز لهم تغيير الحروف إلى حروف عربية وذلك بإبدال حرف مكان حرف آخر وهنا يدخل الجانب الصوتي.

ونخلص أن سيبويه وضع طرق عديدة في معرفة المعربات والتي ساهمت في تقعيد العربية. ونستخلص عن هذا أنّ التعريب حسب سيبويه يتمّ كما يلي:

- إجراء تعديل في الكلمة الأعجمية على المستوى الصوتي أوالصرفي.
- تغيير على المستوى الصوتي: يتغير الحرف الذي ليس من حروف العربية قصد حصول الانسجام مثل كلمة(مهندس) والتي أصلها (مهندز).
- التغيير على المستوى الصرفي وإلحاقه ببناء كلامه.
- عدم التغيير في المستوى الصرفي والنطق به على بنائه الأعجمي.

٣-الجوهري:

الجوهري هوإسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)،ومعجمه (الصحاح) يشهد بعبقريته فذة جعلت ياقوت يقول عنه في معجم الأدباء:" كان الجوهري من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما."٢٢ (معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٩٨٠م).

ويُعدُّ الجوهريُّ أولَ من حدَّدَ مصطلح المعرَّب بشكلٍ مختصرٍ، بقوله: "وتعريبُ الاسم الأعجمي: أنْ تتفوَّه به العربُ على منهاجها، تقولُ: عرَّبْتُهُ العربُ وأعرَبْتُهُ أيضاً"٢٣(الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١٤٠٤ه/١٩٨٤م).

وبهذا يكون الجوهري قد وضع شرطا لتعريب الألفاظ، وهذا إنْ دلَّ على شيءٍ فإنَّما يَدُلُّ على مسيرة تطور المصطلح في المعجم العربي للحاجةِ إلى فهمٍ جديدٍ للفظ الأجنبي الذي دخل العربيَّةَ بصورهِ المختلفة.

٤- أبومنصور الجواليقي:

هو"موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر أبومنصور الجواليقي (٤٦٥-٥٤٠ه)، (نسبة إلى عمل جواليق وبيعها)النحوي اللغوي.٢٤ (ينظربغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ١٣٨٤ه/١٩٦٥م). صاحب كتاب "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم" وهومن المصادر المهمة في هذا المجال، وهذا الكتاب عبارة عن قاموس صغير فيه كلمات معربة ودخيلة، جمعها أبومنصور في بداية القرن السادس، بعدما رآها منتشرة في عديد من كتب اللغة ، وهذا الكتاب الجليل يعتبر أكبر وأهم المراجع بالنسبة للدخيل والمعرب حيث جمع فيه ما عرب من الألفاظ الأعجمية إلى عصره، وحرص على أن يبين اللغات التي أخذت منها هذه الألفاظ، وأصول الكلمات في هذه اللغات ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

كما اجتهد في نسبة الأقوال إلى أصحابها من أئمة اللغة، ولم يدخر جهدا في الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والشعر، ورتب ما جمع على حروف المعجم تيسيرا للمستفيد.

صدر كتابه بمقدمة ذكر فيها أقوال العلماء حول وقوع المعرب في القرآن

الكريم، بين القائلين به والمنكرين له. وهومن القائلين بالمعرب في القرآن الكريم، حيث يقول: "هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين ، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح"٢٥(المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ١٤١٠ه/١٩٩٠م).

وتكلم في الباب الثاني عن معرفة مذاهب العرب في الاستعمال الأعجمي حيث يقول: "اعلم أنهم كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضا"٢٦" (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ١٤١٠ه/١٩٩٠م).

وبعد ذلك تكلم عن الإبدال بأنه لازم إذا لم يكن الحرف من حروفهم، وهوفي هذا السياق نلاحظ أنه لم يضف شيئا على ما قاله سيبويه من إبدال الحروف التي ليست من حروفهم، ومثال ذلك تغيير "ما كان بين الجيم والكاف، وربما جعلوه جيما وربما جعلوه كافا وربما جعلوه قافا لقرب القاف من الكاف، قالوا: كُرَبَج وبعضهم يقول: قربق... وقالوا: سراويل وإسماعيل وأصلها شروال وأشماويل"٢٧ (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ١٤١٠ه/١٩٩٠م).

والملاحظ أن الجواليقي لم يضف شيئا جديدا لأنه اتبع منهج الفراهيدي في منهج التحليل الصوتي وتأصيل الكلمة وتعريبها كقاعدة أساسية لمعرفة الأصيل من الدخيل.

٥- الفيروزابادي:

هو"محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروزاباذي العلامة مجد الدين أبوطاهر، صاحب القاموس...ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة...مات ليلة العشرين من شوال سنة ست عشرة وثمانمائة"٢٨ (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ١٣٨٤ه /١٩٦٥م) يعتبر مؤلفه القاموس المحيط من أمهات المعاجم العربية في مجال التعريب، والذي يحفل بكثير من الكلمات الدخيلة والمعربة.

امتاز بنهجه الذي نص به على المعرب والدخيل من الكلم، فقد جمع فيه المؤلف طائفة غير قليلة من الكلمات المعربة والدخيلة والمولدة موضحا إلى قدر استطاعته. ويلاحظ من خلال عرضه لهذه الفكرة بأنه استعمل الألفاظ الدخيلة جميعا سواء منها المعرب أوالمولد، وأباح استعمال كل منها في الأساليب الصحيحة، ولهذا انعقد الإجماع على صحة منهجه وجوازه في المعرب والدخيل، حتى أجاز المعرب والمولد الأعجمي. ولاغبار في إجازته للمولد لاسيما مصطلحات العلوم والفنون والمخترعات الحديثة، والتي يتعذر العثور على لفظ عربي يلائمها، على نحوما رخص به مجمع اللغة العربية في مصر، أما المصطلحات العلمية والفنية التي لها ألفاظ عربية فلا نرى حاجة لإجازة استعماله لأن اللغة العربية غنية بثروتها اللفظية التي تفي بهذه المقاصد.

ولكن الفيروزآبادي كان له فضل السبق في إجازة ما صح استعماله لدينا من الأعجمي المولد قبل أن يولد مجمع اللغة العربية بقرون، والتقى رأي المجمع برأيه في صعيد واحد.

ولعله بهذا النقل-أي نقل اللفظ الأعجمي-المولد إلى لغة العرب مصقولا بلسانهم خاضعا لمقاييسهم قد أعطى نفسه حق التعريب بعد عصر الاحتجاج وهوغير عربي أصيل، مما أثار بعض النقاد وجعلهم يقفون منه موقفا سلبيا، لأن التعريب قانون أجمعوا على احترامه، حفظا لكيان اللغة، وحرصا على سلامة معانيها.

ويبدوأن الفيروزآبادي رأى في هذا القانون جمودا، فأراد أن يتحلل منه في جرأة لم تعهد من قبل، واعتبره ساريا في عصره ومنحه لغير فصحاء اللغة حتى ينطبق عليه، ثم نقل اللفظ المولد إلى العربية محاولا أن يكون على طريقة الأقدمين في تعريبهم.

٦- شهاب الدين الخفاجي:

أبومنصور أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري، أبوالعباس قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، وينسب إلى قبيلة خفاجة. توفي عام١٠٦٩ه. لعل من أهم مؤلفاته هوكتاب "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل"٢٩ (ينظر قاموس تراجم الأعلام، خير الدين الزركلي).

وهو عبارة عن معجم وقد جمع بين دفتيه كلمات من المعرب والدخيل وحتى المولد، يقول في مقدمته: "فهذا كتاب جليل جمع فيه ما وقع في كلام العرب من الدخيل"٣٠ (شفاء الغليل فيما في

كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٩٩٨م) وقد ألفه على منهاج الجواليقي حيث يقول في هذا الشأن: "وكتاب أبي منصور روح الله روحه، وأجزل في منازل السعادة فتوحه، أجل ما صنف في هذا الباب، إلا أنه لم يميز فيه القشر واللباب"٣١.(شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٩٩٨م)

والمطلع على هذا الكتاب يلاحظ أن الخفاجي لم يضف شيئا جديدا، إلا بصمات قليلة وذلك من خلال مقدمة كتابه، حيث يقول عن وقوع المعرب في القرآن الكريم: "اعلم أن العرب تكلمت بشيء من الأعجمي والصحيح منه ما وقع في القرآن أوالحديث أوالشعر القديم أوكلام من يوثق بعربيته."٣٢ (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٩٩٨م)، ثم ناقش هذه الفكرة بين المؤيدين أوالقائلين بها أوالمنكرين لها، يقول في هذا الشأن: "واعلم أن أبا عبيدة قال ليس في القرآن لسان سوى العربية ومن زعم خلافه فقد أعظم على الله حجته."٣٣ (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٩٩٨م) ثم يعرف المعرب قائلا: "واعلم أن التعريب نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، والمشهور فيه التعريب وسماه سيبويه وغيره إعراباً وهوإمام العربية فيقال حينئذ معرب وقد يعرب لفظ ثم يستعمل في معنى آخر غير ما كان موضوعا له" ٣٤ (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٩٩٨م) والمعرب عند الخفاجي قسمان: قسم تدخله الألف واللام مثل: الديباج، وقسم آخر لا تدخله كموسى. وتكلم الخفاجي عن التغير الذي يحدث في بنية المعرب وإبدال الحرف في الكلمات المعربة تحت عنوان "فصل في تغيير المعرب وإبداله" حيث يقول: "اعلم أنهم قد يغيرون الكلمة الأعجمية... فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف وهولازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه فيبدلون حرفا بآخر ويغيرون حركته ويسكنونه ويحركونه وينقصون ويزيدون."٣٥ (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٩٩٨م). ثم تكلم عن الحروف المبدلة وعدها عشرة: "خمسة يطرد إبدالها وهي الكاف والجيم والقاف والباء والفاء مما ليس في كلامهم وهي مخلوطة وخمسة لا تطرد وهي السين والشين والعين واللام والراء وكل حرف وافق الحروف العربية"٣٦ (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٩٩٨م).

إذن الحروف التي ليست من العربية يسمى إبدالها الإبدال المطرد، وأما مالا يطرد فيه الإبدال فكل حرف وافق الحروف العربية. وفي آخر مقدمة الكتاب تكلم الخفاجي عن ضرورة حروف الذلاقة في بناء الرباعي أوالخماسي، واعتبر وجود حرف الذلق من محاسن الكلمة، وكما رأينا سابقا فقد اعتبر الخليل وجود هذه الحروف شرطا لمعرفة الأصيل من الدخيل، وقال: "أحسن كلام العرب ما بني من الحروف المتباعدة المخارج، وأخف الحروف حروف الذلاقة، ولذا لا يخلوالرباعي والخماسي منها إلا عسجد لشبه السين في الصفير بالنون في الغنة، فإذا وردت كلمة رباعية أوخماسية ليس فيها شيء من حروف الذلاقة فاعلم أنها غير أصيلة في العربية."٣٧ (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٩٩٨م)

٧-المعرّب عند المحدثين:

ظاهرة الاقتراض مازالت تشغل العرب إلى اليوم إلا أن نظرة المحدثين تعددت وتباينت تجاهها في بداية النهضة العربية الحديثة، فكانت القضية مرتبطة بجوهر اللغة وفلسفتها عند فريق، ومنها ما يتعلق بالشخصية القومية عند فريق آخر، ومرتبطة بمسيرة العصر وتقنيته عند فريق آخر. وانقسموا باتجاهاتهم إلى ثلاث فرق هي: ٣٨ (التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة والعربية الحديثة، صالح زفتكي، ٢٠٠٧)

- المتعصبون: وهم الذين ذهبوا إلى عدم جواز التعريب وقالوا بأنه يجب أن نسد حاجاتنا إلى المفردات بطرق أخرى، كالاشتقاق والنحت والإبدال، إلى جانب ما في بطون المعجمات وان كان مهملا أوحوشيا ويمثل هذا الاتجاه: الشيخ أحمد الاسكندري، مصطفى صادق الرافعي، عز الدين التنوخي.
- المتحررون: الذين ذهبوا إلى وجوب تعريب الألفاظ الأعجمية كيفما اتفق، ثم استعمالها من غير مراعاة قوانين التعريب التي وضعها علماء اللغة القدماء ودون قيد أوشرط بسبب كثرة ما تقذفنا به الحضارة الغربية بأسماء كثيرة للآلات والمخترعات وغير ذلك، ويمثل هذا الاتجاه: يعقوب صروف.

- المعتدلون: الذين أجازوا الاستعانة بالتعريب لسد الحاجة العربية إلى المفردات، بشرط أن لا يفسد هذا المعرب أصول اللغة، ومن هؤلاء: طه حسين، الشيخ محمد الخضري، أحمد أمين، وأحمد زكي باشا.

وسادت هذه المواقف التي تقبلت هذه الظاهرة، والتي عدت الاقتراض بين اللغات ظاهرة طبيعية عرفتها كل اللغات وعلى مر العصور.

-الخاتمة:

يثبت تاريخنا القديم والحديث أن اللغة العربية لغة العلم تقبل وتستوعب، وهي لغة حضارة عظيمة إذ أنها أبدت مرونة في ظل الحضارة الإسلامية باستيعابها مختلف العلوم. والاقتراض كغيره من الظواهر له إيجابياته وسلبياته. فمن ايجابياته:

- إثراء المخزون اللغوي.
- إمداد الفصحى بألفاظ الحضارة وكلمات الحياة العامة.
- يمكن أن يكون الاقتراض معيارا للقوة الحضارية والنفوذ المادي والمعنوي للغة المقترضة واللغة المقترضة على السواء.

أما فيما يتعلق الناحية السلبية فانه ينجم آثار المتمثلة في:

- نشر ظاهرة المسخ اللغوي.
- ترويج الازدواجية بين الفصحى واللغات الأجنبي.
- ومن سلبياته أيضا يؤدي إلى ضياع القيمة التعبيرية للجذر العربي، وتغيير للبنية الصوتية العربية بإدخال أصوات غريبة عنها، وإرباك المعجمية العربية، وغموض معنى المقترض في معاجمنا، وصعوبة ضبط اللفظ المعرب وخرق القواعد الصرفية العربية، وتضييع خصائص اللغة العربية.

الهوامش:

١- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، أعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي -بيروت- لبنان، ط١ ، فصل القاف باب الضاد: ١/ ٨٨١-٨٨٢.

٢- أساس البلاغة، أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري،.تحقيق محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية .بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، باب قرض:٢/٦٩.

٣- لسان العرب، ابن منظور، اعتنى بالتصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، .دار إحياء التراث العربي .بيروت لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، مادة قرض:١١/١١١

٤- من أسرار اللغة، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلومصرية، ١٩٧٨: ص١١٧ .

٥- التعريب جهود وآفاق، قاسم سارة، دار الهجرة، ط١، بيروت-لبنان-١٤٠٩هـ/١٩٨٩: ص:١٥

٦- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، دط ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، دار الجيل، بيروت، دت: ٢٦٨/١

٧- ينظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، ط٣، ٢٠٠٤: ص١٩٧-١٩٨.

٨- القاموس المحيط، مادة "دخل"باب اللام فصل الدال: ٩٩٨/١

٩- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبومنصور الجوالقي، (ت: ٤٦٥ – ٥٤٠) دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٠، ص: ١٧ .

١٠- لسان العرب، مادة (ولد): ٣٩٥/١٥

١١- مقدمة المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤: ص١

١٢- أسباب غرابة الكلمة، سالم صباح، بحث مقدم إلى مجلة جامعة بابل، العراق، ٢٠٠٣.

١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٤ه/١٩٦٥م: ٥٥٧/١

١٤- ينظر مكانة الخليل بن احمد في النحوالعربي، جعفر تايف عبابنة، دار الفكر للنشر والتوزيععمان، ط١، ١٤٠٤ه-١٩٨٤م: ص٢٤-٢٥.

١٥- مقدمة العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار

الرشيد، بغداد، ١٩٨٠-١٩٨٥م:٥١/١

١٦- العين:.٥٢/١

١٧- ينظر: العين: ٥٢/١-٥٤، ٦/٥، ٤١/٥،

١٨- بغية الوعاة: ٢٢٩/٢

١٩- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، دار الكتب، القاهرة، ط٢: ص ١٤٣

٢٠- الكتاب، أبي بشر عمروبن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي، الرياض،ط٢، ١٤٠٢ه/١٩٨٣م: ٣٠٣/٤-٣٠٤

٢١- المصدر نفسه: ٣٠٣/٤-٣٠٤

٢٢- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الفكر بيروت، ١٩٨٠: ١٥١/٦-١٥٢

٢٣- الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط٣، ١٤٠٤ه/١٩٨٤م: ١٧٩/١.

٢٤- ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٣٠٨/٢

٢٥- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبومنصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، حققه دف.عبد الرحيم، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م: ص١٤

٢٦- المصدر السابق، ص.٩٤

٢٧- نفس المصدر،ص٩٤-٩٥.

٢٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢٧٤/١-٢٧٤

٢٩- ينظر قاموس تراجم الأعلام، خير الدين الزركلي، دار إحياء التراث العربي، بيروتلبنان، ط٢: ٢٢٨/١

٣٠- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، تحقيق محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروتلبنان، ١٩٩٨م: ص٣٢

٣١- المصدر نفسه: ٣٢

٣٢- المصدر نفسه: ٣٣

٣٣- المصدر نفسه: ٣٤

٣٤- المصدر نفسه: ٣٣-٣٤

٣٥- المصدر نفسه: ٣٦

٣٦- المصدر نفسه: ٣٦

٣٧- المصدر نفسه: ٤٠-٤١

٣٨- التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة والعربية الحديثة، صافية زفنكي، الهيئة العامة السورية للكتاب،ط١، دمشق، سوريا، ٢٠٠٧م: ٩٤